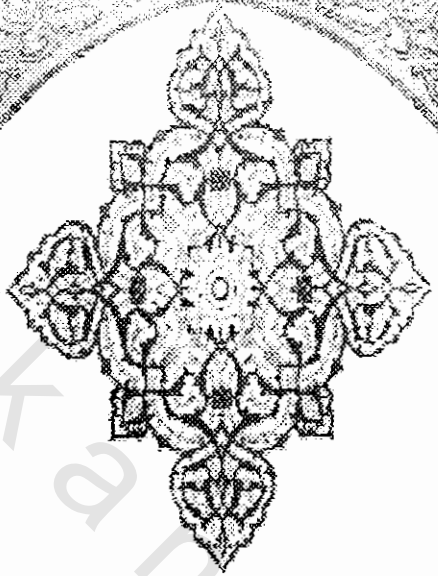

سورة القصص

obeikandl.com

﴿ سورة القصص ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ طسم ۝١ ﴾

من جملة الحروف العاليات وهو من جملة مقطعات دائرة الإحاطة.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾

تشبه بالحضرة الإلهية فى كبريائها وعظمتها، وتسويف النفس الفرعونية له بأن يضارع حقوق الإلوهية ويرقى هذا المرقي، وأنى له ذلك.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ ﴾

ثم أعلمتنا الحضرة الإلهية بعد سرد العلو الفرعونى المزيف، أنها تريد أن تخلف ظنون أهل الكبرياء الفرعونى وتكذبه وتجعل العلو الحقيقى لأهل الضعف فى الأرض، وتجعل لهم الإمامة وتهبهم الإراثة الحقيقية، وإنما اقتضت الإرادة هذا لتخلى هؤلاء الضعفاء عن مشاركة الحق فى كبرياء الله، والتى هى رداء الحق، وكذلك مشاركته سبحانه فى

عظمته، والتى هى إزاره .

واعلم أن من أراد عزة الحق سبحان فعليه بإخفاض نفسه وإهانتها، وكلما ازداد العبد تواضعا ازداد علواً، ولذلك كان سيدنا محمد ﷺ سيد المتواضعين.

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ ۝٦ ﴾

ونمكن لهم أحولهم، بنقلهم من بحار التلوينات إلى بحار التمكينات، وبتحريرهم من تلون الأحوال إلى رسوخ المقامات

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾

أى نرى فرعون وعصابته من هؤلاء الضعفاء ــ وهم موسى وقومه ــ ما كان يخشاه من أقوى الأقوياء، فالضعيف أراه وأشهده ما كان يحذره مما لا يحتسب، وهو من باب المكر الإلهى، لما ألقاه الحق له فى اليم، وهو مقام الضعف التام فى ظاهره.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۝٧ ﴾

هو من باب الاهتمام التام بأحبابه وأعزائه، وهو مجرد الوحى لها بأن ترضعه فقط.

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾

فإذا خفت عليه عوامل المكر والحدثان، فعالجى الهلاك بالهلاك ــ أى فألقيه فى اليم ــ وهو عين الحفظ، وإن كان

ظاهره عين الهلاك، وهو من باب الخداع الإلهى قال تعالى:

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾.

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

ساقته القدرة الإلهية ليكون سبباً لإيمان قوم وسبباً لإضلال آخرين .

فأضل الله على يديه فرعون، وهدى على يديه زوجته، فكان موسى عليه السلام عين الفرق والجمع.

﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

هو من باب عصمة الحق تعالى لأحبابه من أن يدخل أفواههم حرام، فحرم عليه المراضع سوى أمه، لكونها من العارفات بربها، ففطمه عن الكل سوى أمه، وقد أخبر الحق تعالى عن هذا فى موضع آخر بهذه المرافقة فى المعية فقال:

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾.

﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾

وهذا يدل على عدم عصمته بعد، وأنه لم يبعث فى تلك المدة

فيؤتى عصمة النبوة، وكذلك هو دال على عظيم قوته ــ أى موسى ــ البدنية والروحية، وإلا فإن الوكز العادى لا يقتل .

وقد تكلم الشعرانى فى كتابه اليواقيت والجواهر على هفوات الأنبياء قبل الإرسال، مثل أكل آدم من الشجرة وكذب إبراهيم بكلام نفيس، والذى أراه وهو خلاصة القول الفصل: أنه اقتطاع الكمال الإلهى المنفرد للكمال البشرى، لإثبات المكانة والعزة والتفرد، فسبحانه وتعالى لا يشاركه أحد حتى ينقص، فلابد للكامل من نقص حتى يتم كماله، ولا زالت هذه مشيئته فى خلقه سبحانه وتعالى عما يشركون، .ولذلك قال أحد العارفين لما اطلع على هذا السر العزيز: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾

هو من باب تنسم العارفين لنفحات القرب، وترجى ما عند الله من مفاجآت.

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

أى لم يشغلنى عطاؤك عنك، فإنى فقير وإن أعطيتنى، ما لم تكن أنت الشاغل الأصلى لا العطاء نفسه.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

كل من أراد القرب من الحضرة لمحاً وتكلماً لابد له من الدخول من باب القهر، والنار كانت أعظم علامة قهرية تلوح بها الحضرة، لكونها حضرة القهر الكبرى، وإلا فكيف يأنس بالنار ؟، والنار لا يؤنس بها.

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾

أى ألق هواك وإرادتك واخضع لنا، واترك الكل وأقبل علينا، يأتك الكل خاضعاً ذليلاً.

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾

وليت موسى عليه السلام لم يقل: إنى أخاف أن يكذبون، وذلك لأن الحق تعالى أعطاه الأمان من قبل فقال له: يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

بعد أن ادعى الإلوهية قاده عقله المريض بأنه ببناء الصرح الطينى سيطلع على إله موسى، وهو حجة المجسمين ودلالة الجهمية وأهل الجهة، وذلك لكونهم جعلوا إلههم هو عقلهم المحدود، ولم يطلقوا للإله التنزيه، فيخرجوه عن دائرة الأوهام والممكنات.

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

أى أئمة فى الفساد وفى القدوة الفاسدة، كما أن إبليس له الإمامة الكبرى فى الخروج عن الله، وهم جنود الله المضلين

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

لكونهم ليسوا من أهله ــ أى اللغو ــ ولكون خطراتهم محسوبة عليهم، وهمساتهم مسجلة من أنفاسهم، وأنفاسهم أعز من الكبريت الأحمر.

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

حتى لا يظن فيك التأثير كالألوهية، ويتعرف قدر الخالق وقدر المخلوق، فإن الألوهية احتفظت بتأثر وتوليد الهداية لنفسها ولم تخرج هذا السر لغيرها، وهو من علوم الغيرة.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

أى ما كان لهم خيرة خلق أنفسهم ولا فى أى وضع هي، وإنما صبها الله فى قوالب إرادته بقدرته، كما يشاء خلقها واختار لها أبدع صورة رآها لها كما قيل: " ليس فى الإمكان أبدع مما كان ".

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

أى لا تفرح بما يشغلك عن الله من العطاء الفانى المغشى لبصيرتك، فيحجبك عن رؤيتنا، فتكون من المشتغلين بغيرنا.

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٧﴾ ﴾

أيها العارف المحمدى الكامل كن كمحمد لا تنس حظك من الدنيا، وقم فى مقام التوسط، فنم وقم وصم وافطر وانكح النساء، وكما أخبر هو ﷺ عن نفسه حيث قال : ((فمن رغب عن سنتي فليس منى)).

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿٧٨﴾ ﴾

تكلم بلسان إبليس ونفخ من عين بوقه، لما ضم العلم إلى الأنانية، وهو أعظم المنازعة عنده سبحانه فى ردائه وإزاره، ومن كان هكذا قذفه فى النار ولم يبالى.

﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

لأنهم ليسوا أهلاً للعتاب الإلهي، فإنه سبحانه يعاتب من فيه بقية من معرفة، وهم قد سقطت من قلوبهم مقتضيات العتاب،

فهم أوانى أعدت لما ملئت به، وأين المفر من عين المصير.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

تلك الدار الآخرة الإلهية البعيدة ـ فإن تلك تشير للبعد ـ نجعلها لمن مانت نفوسهم وانسحقت، وصار لا مطمع لها لعلو ولا لطموح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

إن الذى أقامك فى مواطن التجليات الإلهية المتجددة، بعد أفول تلك التجليات القديمة سيردك إلى الموطن الأول مرة أخرى، فلا تخف أن تغادر ذلك الوطن ثم لا تعود إليه، فالعارف أسير موطنه الأول ـ وهو مكة.